

نورانية القلب

القلب يمكن أن يكون نورانياً يشع بنور الإيمان والتقوى، ويمكن أن يكون سوداوياً مطبقاً بالظلمة بسبب الابتعاد عن نهج الدين وكثرة المعاصي والذنوب؛ فالقلب يشع نوراً بالطاعات والعبادات والأعمال الصالحة، ويكون مظلماً عندما يكون صاحبه غارقاً في المعاصي والذنوب الكبيرة.

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك بقوله: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ، وَقَلْبُ الْكَافِرِ أَسْوَدُ مَنَكُوسٌ» [1].

والمعيار في ترتيب الآثار الأخروية يرتكز على نورانية القلب والأعمال الصالحة، وليس شكل البدن وكمية المال، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [2].

والقصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من حركات البدن، قال الإمام الصادق عليه السلام: «الْقَصْدُ إِلَى اللَّهِ بِالْقُلُوبِ أَبْلَغُ مِنَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ بِالْبَدَنِ، وَحَرَكَاتُ الْقُلُوبِ أَبْلَغُ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَعْمَالِ» [3]. وعن الإمام الجواد عليه السلام قال: «الْقَصْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْقُلُوبِ أَبْلَغُ مِنْ إِتْعَابِ الْجَوَارِحِ بِالْأَعْمَالِ» [4].

تشير طائفة من الروايات إلى مجموعة من الطاعات والأعمال الصالحة التي تزيد في نورانية القلب، ومنها:

1. ذكر الله تعالى:

إن تعويد اللسان على ذكر الله كثيراً ينير القلب، ويبعث الطمأنينة فيه كما أشار الله عز وجل إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [5].

وقال الإمام علي عليه السلام: «عليك بذكر الله، فإنه نور القلوب» [6]. وعنه عليه السلام قال: «الذكر نور ورشد، النسيان ظلمة وفقد» [7]. وعنه عليه السلام قال: «مَن ذَكَرَ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ أَحْيَا اللَّهَ قَلْبَهُ وَزَوَّجَ عَقْلَهُ وَلُبَّهَ» [8]. وعنه عليه السلام قال: «الذكر نور العقول، وحياة النفوس، وجلاء الصُّدور» [9].

وعنه عليه السلام قال: «الذكر يُؤْنِسُ اللَّبَّ وَيُنِيرُ الْقَلْبَ وَيَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ» [10].

فمن أراد أن يجعل قلبه نورانياً فليلهج لسانه بذكر الله تعالى في كل وقت وحين ومكان، فاذا ذكر الله سبحانه بأية حالة وكيفية كنت، وأنت قائم أو جالس أو راكب أو مستلق كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [11] . والمرء وما اعتاد، فعوّد لسانك على ذكر الله سبحانه دائماً حتى تكون ممن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَكْرَمَهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرَّمُوا أَكْرَمَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [12].

2. تلاوة القرآن الكريم:

إن المداومة على تلاوة القرآن الكريم -وهو كلام الله تعالى- له أثر كبير في إنارة القلب، وتقوية البصر والبصيرة. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض» [13].

وكان من دعائه صلى الله عليه وآله: «اللَّهُمَّ نَوِّرْ بكتابِكَ بَصَرِي، وَاشرحْ بِهِ صَدْرِي، وَفَرِّحْ بِهِ قَلْبِي، وَأُطْلِقْ بِهِ لِسَانِي، وَاسْتَعملْ بِهِ بَدَنِي، وَقَوِّني عَلَى ذلك، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» [14].

وقال الإمام علي عليه السلام - في صفة القرآن -: «جَعَلَهُ اللَّهُ رِيَاءً لِعَظَمَةِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِسُطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ» [15].

وكان من دعائه عليه السلام أيضًا - عند ختمه القرآن -: «اللَّهُمَّ اشْرَحْ بِالْقُرْآنِ صَدْرِي، واستعملْ بِالْقُرْآنِ بَدَنِي، ونوِّرْ بِالْقُرْآنِ بَصَرِي، وأطلقْ بِالْقُرْآنِ لِسَانِي، وأَعِزَّنِي عَلَيْهِ ما أَبْقَيْتَنِي، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» [16].

وقال الإمامُ الحسنُ عليه السلام: «إنَّ هذا القرآنَ فيه مَصَابِيحُ النُّورِ وشِفَاءُ الصُّدُورِ، فَلَا يَجْلُ جَالٍ بَضَوْنَهُ، وَلِيُلْجِمَ الصُّفَّةَ قَلْبَهُ، فَإِنَّ التَّفَكِيرَ حَيَاةُ الْقَلْبِ الْبَصِيرِ كما يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الطُّلُمَاتِ بِالنُّورِ» [17].

إن المداومة على تلاوة القرآن الكريم والتدبر في آياته، وحضور القلب عند تلاوته، يزيد من نورانية القلب، وانشراح الصدر وانفساحه.

3. المحافظة على الصلوات الواجبة:

إن المحافظة على أداء الصلوات الواجبة في أوقاتها، وقيام الليل، والتهجد في السحر، من الأمور التي تجعل القلب نورانياً كما ورد في الأخبار والروايات. ومنها:

ما روي حول أن الصلاة تنير القلب: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «الصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ،

والمصلاة نور من الأبرار [18] . وعنه صلى الله عليه وآله قال: «صلاة الرجل نور في قلبه ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُذَوِّرْ قَلْبَهُ» [19].

وعن التهجد في السحر والناس نيام، والإتيان بصلاة الليل، وأن ذلك يجعل القلب نورانياً ، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَخَلَّصَ بِسَيِّدِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَنَاجَاهُ، أَثْبَتَ اللَّهُ النُّورَ فِي قَلْبِهِ ... ثُمَّ يَقُولُ جَلَّ جَلُّهُ لِمَلَائِكَتِهِ :

يا ملائكتي، انظروا إليَّ عبدي، فقد تَخَلَّصَ بي في جَوْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَالْبَطَّالُونَ لَاهُوتَ ، وَالْغَافِلُونَ نِيَامَ ، اشهدوا أنِّي قد غَفَرْتُ لَهُ» [20].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «ما تَرَكَتُ صَلَاةَ اللَّيْلِ مِنْذُ سَمِعْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ نُورٌ». فقال ابنُ الكَوَّاءِ: ولا ليلةَ الهَرِيرِ؟ قالَ: «ولا ليلةَ الهَرِيرِ» [21].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «صلاة الليل تُبَيِّضُ الْوَجْهَ ، وصلاةُ اللَّيْلِ تُطَيِّبُ الرَّيْحَ ، وصلاةُ اللَّيْلِ تَجْلِبُّ الرِّزْقَ» [22].

وقال الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلامُ- لَمَّا سُئِلَ: ما بالُ الْمُتَهَجِّجِينَ بِاللَّيْلِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجَهًا؟-: «لأنَّهم خَلَّوْا بِاللَّيْلِ فَكَسَاهُمُ اللَّيْلُ مِنْ نُورِهِ»[23].

4.الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد:

إن الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد ينير القلب، وينير القبر، ويكون له نورا على الصراط، وفي الجنة؛ فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أكثرُوا الصلاة عليَّ، فإنَّ الصلاة عليَّ، نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة»[24].

القلب السليم

إن القلب النوراني يكون سليماً من الأحقاد والضغائن والعقد والأمراض النفسية والروحية، بينما القلب السوداوي يكون ملوثاً بالأحقاد والكراهية والبغض تجاه الآخرين. فقد قال الإمامُ عليُّ عليه السلام: «لا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ حَتَّى تُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِينَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»[25]. و عنه عليه السلام قال: «لا يَصْدُرُ عَنِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ إِلَّا الْمَعْنَى الْمُسْتَقِيمُ»[26]. والقلب النوراني يأتي يوم القيامة سليماً من حب الدنيا، ومن كل الأمراض القلبية، وهو الذي ينفع صاحبه، كما قال تعالى: «يَوْمَ لَا يَنْدِفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ». وقال الإمامُ عليُّ عليه السلام: «إذا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا رَزَقَهُ قَلْبًا سَلِيمًا وَخُلُقًا قَوِيماً»[28].

ويُفسر الإمامُ الصادقُ عليه السلام معنى القلب السليم - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَآ مَنَـةَ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ - بقوله: «القلبُ السَّليمُ الذي يَلْقَى رَبَّهُ، وليسَ فيه أحدٌ سواه، وكلُّ قلبٍ فيه شركٌ أو شكٌّ فهو ساقطٌ» [29].

وعنه عليه السلام - أيضاً - قال: «هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي سَلِمَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا» [30].

وعنه عليه السلام قال: «صاحبُ الذِّبَّةِ الصادقةِ صاحبُ القلبِ السَّليمِ، لأنَّ سلامةَ القلبِ من هَواجِسِ المحذوراتِ، بتخليصِ الذِّبَّةِ لِلَّهِ في الأمورِ كُلِّها، قالَ اللّٰهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنَـةَ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾» [31].

فلنحافظ على سلامة قلوبنا، حتى تكون مشعة بنور الإيمان والتقوى، ومتنورة بفعل الطاعات والصلوات، وبذلك نكون من أصحاب القلوب السليمة؛ وخير القلوب القلب السليم.